

دراسة

شفيق، فيراني: الإسماعيليون مرآة لثراء الإسلام

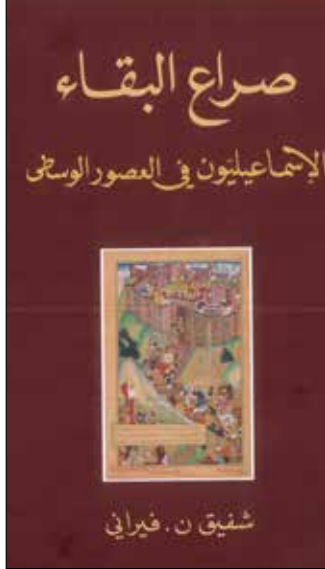
تتمتعوا بمرور تاريخية وقدرته على التأقلم وتطوير تراثهم الثقافي والأدبي والتعليمي. في كتابه الجديد «صراع البقاء: الإسماعيليون في العصور الوسطى» (ترجمة سيف الدين القصير - دار الساقي - معهد الدراسات الإسماعيلية). يقدم أستاذ الدراسات الإسلامية في «جامعة تورونتو» قراءة لذاكرة الأقليات المسلمة التي تعد جزءاً من حركة هذا الدين وغناه الروحي

ريتا فرج

شهدت العقود الأخيرة تنامياً ملحوظاً في الدراسات الإسماعيلية، تمثلت في الترجمات والمؤلفات المختصة. ويرغم هذا النشاط الثقافي، ما زالت المكتبة العربية تفتقر إلى بليوغرافيا وافية خارج الإطار الكلاسيكي الذي يغلب عليه التاصيل المذهبي للفرق والملل والنحل في الإسلام. يُعتبر الكاتب السوري عارف تامر (1921-1998) من بين أبرز الباحثين العرب الذين أرخوا ودرسوا تاريخ الإسماعيليين. نشر كتاباً عدة من بينها «موسوعة تاريخ الإسماعيلية»، أولت الأدبيات الاستشرافية اهتماماً بتاريخ هذه الطائفة، وتعد أبحاث المستشرق الروسي فلاديمير إيفانوف (1886-1970) أساس الدراسات الإسماعيلية الحديثة، خصوصاً كتابه «Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids (1942-1942)». إلى ذلك، يشكل «معهد الدراسات الإسماعيلية» في لندن معلماً ثقافياً بارزاً في دراسة وحفظ الإرث الإسماعيلي، السياسي والديني والثقافي، وأصدر مجموعة مهمة من الكتب، لا سيما تلك التي نشرها فرهاد دفترتي صاحب «الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم».

في كتابه الجديد «صراع البقاء: الإسماعيليون في العصور الوسطى» (ترجمة سيف الدين القصير - دار الساقي - معهد الدراسات الإسماعيلية)، يدرس أستاذ الدراسات الإسلامية في «جامعة تورونتو» (كندا) شفيق

الكوارث والجروح التاريخية أحدثت تحولاً عقدياً لدى هذه الطائفة



الأفكار والمعتقدات مجالاً واسعاً استمدته من مصادر توزعت على القبة من تاريخ الإسماعيليين بهدف شرح وإلقاء الضوء على مبادئ ومعتقدات بعينها عبرت عنها أعمال هذه الحقبة الأدبية.

تاريخياً، لم يرتبط حراك الطائفة الإسماعيلية وبقاؤها بالمقاومة المتقدمة فحسب، بل شكلت ثلاث جوانب دينية وفكرية سندا لبقاء لها: التقنية، والدعوة، والبعد المتعلق بعقيدة الخلاص أو النجاة للإمامة.

يكشف الكتاب عن تلاحم بين استمرارية البقاء والروحية الدينية للطائفة الإسماعيلية. واعتمد المؤلف على مجموعة من المصادر لفهم الفترة السوداء التي مر بها الإسماعيليون منذ سقوط قلاعهم وحتى ظهور أئمتهم في أنجودان، وقد تسنّت للجماعة المتناثرة استعادة المركزية الروحية من خلالهم.

عمل المؤلف على استقصاء الغموض الذي اعتري وجود الإسماعيليين بدءاً من الغزوات المغولية واستمراراً حتى مطلع الثورة الصفوية، أي من منتصف القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الخامس عشر. وغطى تحليل

وخصص الجزء الثالث من كتابه لتاريخ الإسماعيليين بعد هذه الفترة المظلمة. يفند الكتاب الفكرة الشائعة عند المؤرخين الغربيين والمؤلفين الغربيين ممن اعتقدوا أن الإسماعيليين قد بادوا وهلكوا نتيجة مذابح المغول، بسبب التضييل التاريخي الذي مارسه الجويني رجل بلاط هولوكو، إذ استقى انتقائياً من كتب وجدها لكتابة كتابه الخاص قبل إيداع مصادره وبقية محتويات المكتبة لالسنة الذهب، كما يشير المؤلف.

أدت الفتوحات الشرسة للمغول إلى كيوه الجماعة الإسماعيلية واعتزلها بالصمت، واستطاعت عبر الأزمنة الطويلة تكريس نشاطها المتواصل، فلم تضع الكوارث التي تعرضت لها حداً لحيويتها حتى في مراكز القوة الإسماعيلية السابقة. ويبرهن الأدب الإسماعيلي في نواحي جنوب قزوين على استمرارية الطائفة وأنشطتها الدينية والدعوية، والأهم أن هذه المصادر التاريخية «العرضية». كما يصنفها فيراني - كشفت عن الارتباطات المتواصلة مع أموت.

أحدثت الكوارث والجروح التاريخية تحولاً عقدياً لدى الطائفة الإسماعيلية، تبدي في اللجوء إلى الكتمان. لم تكن استراتيجية البقاء هذه نتاج الغزو المغولي فقط. دفع القلق في فترات سابقة الإسماعيليين إلى تطوير ممارسة التقية واتخاذها طريقة فطرية للحفاظ على ذات الجماعة برزت تجليات التقية في ممارسات دينية أخرى، بحيث اتخذ مفهوم الستر، أي ستر الإمام، بعداً إضافياً لا سيما بعد فترة أموت.

أدت الأحداث الدرامية إلى تخلي الكثيرين من الإسماعيليين الغربيين عن مذهبهم خوفاً على حياتهم، وبعضهم بقي على معتقداته الإيمانية وتظاهر بالتسنن، وبنيت براهين أخرى على تبنيهم لغطاء الشيعة الاثني عشرية، إلى جانب اتخاذ الصوفية غطاء لتفادي اضطهاد السلطات كما أكد المستشرق الفرنسي هنري كوربان

(1903-1978) الذي أوضح الارتباط الإسماعيلي - الصوفي في أعقاب الغزو المغولي.

وبعيداً من الإسماعيليين في بلاد فارس خلال الفترة المدروسة، بدت حالة الإسماعيليين السوريين مختلفة. يلاحظ المؤلف «أنهم لم يمارسوا التقية بالقدر ذاته من التنبيه والتيقظ، بل إن بعض أحد أبرز رحالة العالم في القرن الرابع عشر، كانوا قادرين على تمييزهم بسهولة كإسماعيليين. وثمة أسباب عدة ممكنة لهذه الحالة (...) تمكّن الإسماعيليون السوريون من تفادي الخراب الذي أحدثه المغول، إذ ربما نجوا بفضل انسحاب هولوكو سنة 658 هـ 1260 م عند سماعه بوفاة الخام الأعظم مونغكه. ثم قام السلطان بيبرس بمد سلطة الماليك في كامل المنطقة، محيطاً بذلك الزحف المغولي (...) وخلافاً للمغول، لم يحاول الماليك إبادة أفراد الجماعة، بل إنهم استغلوا خدمات الفدائيين لتحقيق أهدافهم ضد أعدائهم».

ليس الكتاب تديناً لعقائد الإسماعيلية، لكنه يعرف القارئ إلى بعض المعتقدات الإيمانية للجماعة خصوصاً حين يشير إلى المفهوم والإمام المستقر وإلى المراتب السبعة لحدود الدين (المستحيب، الماذون الأصغر، الماذون الأكبر، الداعي، الحجة الأصغر، الحجة الأكبر: الباب الأقدس، الإمام).

تمتع الإسماعيليون بمرور تاريخية وقدرته على التأقلم ساعدتهم على الاستمرار والبقاء وتطوير تراثهم الديني والثقافي والأدبي والتعليمي. يتوزعون اليوم على 25 بلداً من بينها الصين وجنوب آسيا وشرق أفريقيا وكندا حيث يصل عددهم إلى نحو 70 ألفاً. يتناول الكتاب فترة مفصلية من تاريخ الطائفة الإسماعيلية. يشكل مقدمة لقراءة ذاكرة الأقليات المسلمة خارج علم البعد (hérésiographie) عبر النظر إليها كجزء أصيل من حركة الإسلام وراثته الديني والروحي.

لمحات



بلقيس شرارة

عام 2008، كتبت بلقيس شرارة سيرة ذاتية قصيرة مشتركة مع زوجها رفعة الجادرجي بعنوان «جدار بين ظلمتين» (الساقي). حول تجربته في الاعتقال وانعكاسها عليها. أما في «هكذا مرّت الأيام» الذي صدر أخيراً عن «دار المدى»، فتكتب الأدبية والكتابة العراقية منكراتها الشخصية. هنا تتوقف على تفاصيل ومحطات مهمة من حياتها، منذ ولادتها في النجف، مروراً بزواجها برفعة الجادرجي وتفاصيل سنواتها التي قضياها معاً.



عمل جماعي

يحتوي «بتروال الشرق المتوسط - الأبعاد الجيوسياسية» (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، على مجموعة من الدراسات عن البترول في شرق البحر الأبيض المتوسط قدمها عدد من الباحثين في قضايا الطاقة في البلاد العربية والإقليم، وحررها الاختصاصي العراقي وليد خدوري. وتعود هذه الدراسات إلى ندوة متخصصة عقدتها المؤسسة في بيروت في كانون الأول (ديسمبر) عام 2014، حول موضوعات الاكتشافات البترولية، وأسئلته في العالم العربي.



سليم نصار

بعد «عند المنعطف»، و«غرباء»، و«رصاص الرحمة»، و«وسام على الوجه»، صدر كتاب «خارج الموضوع» (دار الجديد) لسليم نصار. يحتوي الكتاب على مجموعة من المقالات التي اختارها الصحافي من تجربته في الكتابة السياسية في صحيفتي «النهار» البيروتية، و«الحياة» السعودية. ويروي المؤلف من خلالها أسفاراً ولقاءات زاخرة مع شخصيات مثل برتراند راسل، ونيلسون مانديلا وريتشارد نيكسون، وغيرهم ممن أسهموا في كتابة التاريخ المعاصر.



جيريمي سكاھيل

في «حروب قدرة - ميدان المعركة: العالم» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر)، يعيدنا جيريمي سكاھيل إلى 2011، للكشف عن آليات تدير العمليات في أكثر من مئة بلد في العالم يبرهن الصحافي الأميركي أن بلاده تزيد اشتعال وانتشار الإرهاب عبر سياساتها وحروبها. بأسلوب صحافي تحقيقي، يؤرخ سكاھيل ويكشف خبايا ال«سي. أي. إيه» في الصومال، والقتل الاستهدافي الذي تنفذه الطائرات الأميركية في اليمن وأفغانستان... وغيرها من أعمال العنف.



عبود سعيد

يحمل الكتاب اسم مؤلفه السوري عبود سعيد. «عبود سعيد» الذي صدر أخيراً عن «هاشيت أنطوان - نوفل»، يتضمن مجموعة من النصوص التي لا تنتمي إلى تصنيف أدبي محدد. نصوص منتقاة من صفحة الكاتب التي تحظى بنجومية عالية على فايسبوك. لكن توحدها للمحات الشعرية، والسرديات القصصية، فيما ترزح بين الفجاجة والحساسية، بين العبثية والسخرية لتصبح الكتابة عنده مرادفاً للشغب.



وسيم الشرقي

ضمن إطار الدورة الثالثة من «محترف نجوى بركات» (2014 - 2015)، أنجز وسيم الشرقي روايته «الحاجب» (الساقي). تتبع الرواية قصة الرجل الجزائري طيب الذي اعتقل لتخلفه عن الخدمة العسكرية، ونُقل إثر ذلك إلى الشام للالتحاق بجيش الشرق الفرنسي. بعيداً عن بلده الجزائر التي لا يعرف عنها شيئاً إلا من رسائل أخيه، تبدأ الأحداث والأزمات بالتراكم مع طيب وعائلته، بدءاً بعودة ابنه من السعودية وطلاق ابنته وغيرها.